طيف الاحياء

قد يرى الانسان في نومهِ وفي يقظتهِ ايضاً صور معارفهِ تتمثَّل لهُ تمثُّلاً واضحاً حتى يتعذَّر عليهِ ان يفرق بين الحقيقة والوهم اي بين الصورة الحقيقية المنقولة عن جسم حقيقي قائم امامهُ بواسطة اشعة النور وبين الصورة الخيالة المرسومة في مخيلتهِ ويراها بفعل عقلي . وتخيُّل الصور على هذه الكيفية كثير جدًّا لا يلتفت احد اليهِ ولا يعبأ بهِ ولكن اذا رأى اثنان كلٌّ منهما صورة الآخر في وقت واحد خرج الامر عن التخيُّل العادي الذي يكثر حدوثهُ ودخل في حيز الاتفاقات التي يتعذَّر تفسيرها اذا كثرت الاَّ بفرض مؤثر واحد غير مدرَك يؤثر في الاثنين في وقت واحد . واذا حدث هذا التخيُّل في زمنين مختلفين وارتبط بمكان واحد زادت المسألة تعقيداً لانها تستلزم حينئذٍ نفي الزمان او نفي الفرق بين الازمنة المختلفة

اطَّلعنا الآن على حادثة من هذا القبيل نشرها المستر ولفرد ورد في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية نقلاً عن المحترم القس سبنسر نيرن . قال القس نيرن : —

ذهبت الى نروج سنة ١٨٥٩ في يخت لاحد اقاربي وكان معنا جماعة من انسبائي الابعدين لم اكن اعرفهم لانهم من اسكتلندا وانا من انكلترا . وقبلما ركبنا اليخت وصلنا الى مدينة ادنبرج وقمنا منها بسفينة بخارية الساعة الثامنة من صباح الحادي والثلاثين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨٥٩ ووصلنا مدينة ابردين الساعة الرابعة بعد الظهر . وهذه اول مرة دخلت فيها تلك المدينة فجلت فيها انا ورفاقي ورأينا مشاهدها المختلفة الى الساعة التاسعة والدقيقة ٣٠ مساء وكان علينا ان نعود حينئذٍ الى الباخرة فتوصلنا الى اليخت . وقبل ذلك بساعة كنت مارًّا في اكبر شوارع المدينة مع واحد من رفاقي ويدي في يده ونحن نتكلم فرأيت سيدةً من معارفي اسمها مس ولس . كنت اعرفها منذ صباي اي منذ عشرين سنة او اكثر لان عمري كان حينئذٍ ٢٦ سنة فقد كانت تعلم اولاد بعض اقاربي الادنين وكانوا كلهم يحبونها ويكرمونها وقلما كنت التقي بها ولكنني كنت احترمها ولا التقي بها الاَّ وادنو منها واحييها . فلما رأيتها حينئذٍ وقفت لاحييها على جاري عادتي وكانت تمشي مع رجل لم تحدثني معهُ باهتمام شديد ولم ارَها الاَّ حينما دنت مني لازدحام الشارع بالمارَّة وقد لحظت انها رأتني حالما رأيتها فتركت يد رفيقي ودرت لاكلمها خاصًّا انها لتقف تكلمني لكنها لم تقف

بل اختفت من امام عيني . فجعلت التفت يمنةً ويسرةً لارى اين ذهبت فلم اقف لها على اثر فدخلت الدكاكين المجاورة افتش عنها فلم اجدها . وركبنا الباخرة من ايردين الساعة العاشرة مساء وذهبنا الى اليث وسرنا به الى نروج وبقينا فيها الى ٥ سبتمبر وعدنا الى ايردين فبلغناها في ٨ سبتمبر مساء واقمنا فيها تلك الليلة وغادرناها في الصباح الى ادنبرج فلم ارَ حينئذٍ المكان الذي شاهدت فيهِ مس ولس ولا كانت رؤيتها تشغل بالي

وبعد نحو ثلاثة اسابيع ذهبت مع امي لزيارة بعض اقاربنا فالتقيت بها هناك وجعلت امي تتكلم مع صاحبة البيت وجلست انا مع مس ولس لاتكلم معها وقبل ان افوه بكلمة قالت لي على رسلك لقد قاطعتني في ايردين فنحن خصمان منذ الآن لا صديقان . فاجبت لها ان الامر على الضد مما تقول فاني رأيتها ورأيت انها رأتني ولما دنوت لاكلمها اختفت من امام عيني . فأكدت لي ان الامر على خلاف ذلك وانها هي دارت لتكلمني فاختفيت من امام عينيها . فقلت لها انكِ كنت ماشية مع رجل تتكلمين معهُ . فقالت نعم وهو اخي فلما رأيتك قلت لهُ هوذا مستر نيرن ولا بدَّ لي من التكلم معهُ . فلما اختفيت تأسف اخي كثيراً وقال لي طالما سمعت منكِ عن الكبتن نيرن وكنت اود ان اراهُ فقلت لهُ هذا ليس الكبتن نيرن بل ابنهُ مستر سبنسر نيرن

فاستغربنا كلامنا ما حدث ولم نعرف كيف نفسرهُ ثم جعلت تسألني عن نروج وقالت لي كم بقيت هناك فقلت لها اكثر من ثلاثة اشهر من ٦ يوليو الى ٨ سبتمبر . فقالت اي وقت اذاً كنت في ايردين . فقلت في ٣١ مايو (آيار) فقالت ولكن انا لم اكن حينئذٍ في ايردين بل كنت فيها في الاسبوع الاخير من شهر يوليو (تموز) وقد كتبت في يوميتي يوم رأيتك فيها ولو كانت معي الآن لاريتك اياها ولم اذهب الى ايردين قبل ذلك ولا بعدهُ ولا كنت فيها الساعة الثامنة والنصف مساء لاني كنت نازلة مع اخي في ضواحي المدينة فلم نكن نتأخر فيها الى المساء

فقلت لها اني انا كتبت في يوميتي يوم رأيتك فيهِ وهو يوم الثلاثاء ٣١ مايو (ولا تزال هذه اليومية عندي وهي امامي الآن وانا اكتب هذه السطور وتاريخ رؤيتي لها ٣١ مايو) فزاد استغرابها واستغرابي

واني آسف جدًّا لاني لم اكتب اليها ما كتبتهُ الآن لكي تقابلهُ على يوميتها وتوقعهُ بتوقيعها . ولم يخطر ببالي ان اكتبهُ الاَّ بعد بضع سنوات فاني حدثت بهِ احد

الاصدقاء من المهتمين بالمسائل النفسية فاشار عليَّ بكتابته ففعلت حسب اشارته ولكن مس ولس توفيت حينئذٍ فلم يبقَ لي سبيل لجعلها توَّيدهُ . ولكنني أؤكد صحة كل ما كتبتهُ الآن . ولم تكن مس ولس تخطر ببالي وانا في ابردين لو لم ارَها مرأى العين ولقد رأيتها جليًّا ورأيت انها رأتني وعرفتني فلا سبيل للظن انها شُبِّهت لي او انني رأيت غيرها فظننتهُ اياها

ولست من الذين يرون الخيالات فلم أرَ في حياتي الاَّ رؤية اخرى مثل هذه فاني لما كنت في المدرسة وعمري نحو سبع عشرة سنة كنت ماشيًا مع تلميذ آخر ويدي في يده واذا برئيس المدرسة مرَّ بنا آتيًا من الجهة المقابلة وهو القس برتشرد الذي صار استاذًا للفلك في جامعة أكسفرد . وكان ماشيًا بسرعة فلما مرَّ بنا حيَّيناهُ فردَّ التحية بمثلها ولم يلتفت الينا وبعد دقيقتين او ثلاث رأيناهُ ثانية آتيًا نحونا كما رأيناهُ اولاً فدهشنا من ذلك وقلنا كلانا من اين دار حتى قابلنا ثانية . وكان ذلك سنة ١٨٥٠ و١٨٥١ واسم التلميذ الذي كان معي هنري ستون ولا يزال حيًّا يرزق . ولم نسأل الاستاذ كيف قابلنا مرتين في وقت واحد ولا هو سألنا ولو رآنا كما رأيناهُ لسألنا على ما ارجح . انتهى

هذا ما ذكرهُ القس نيون ورواهُ المستر ورد والاثنان من الموثوق بهم فلا يحتمل انهما ذكرا غير ما يعتقدان صحتهُ . ولكن قد يعتقد المرء صحة امر ويكون مخطئًا . فيحتمل ان مس ولس لم تخبر القس نيون بما رواهُ عن لسانها ولكنهُ توهَّم انها اخبرتهُ به او حلم انها اخبرتهُ به وكان الحلم جليًّا جدًّا فبقي في ذاكرتهِ كأنهُ خبر صحيحٌ باذنهِ . والتي رآها في ابردين امرأة اخرى تشبهها فظنها اياها لقلة النور بعد الساعة الثامنة مساء ولو كان نور الشفق شديدًا في عرض ابردين . ولا نحتم بصحة هذا التعليل ولكننا نراهُ قريبًا من الصواب لان بعض الاحلام يؤثر في النفس حتى تلتبس على صاحبها بالحوادث الواقعية . ولو كتب المستر نيون هذه الحادثة حالما رأى مس ولس وتحدَّث معها ووقَّعت هي على الكتابة مؤيدة صحتها لما بقي وجه لهذا التعليل وثبت انهُ هو رأى طيفها وهي رأت طيفهُ في مكان واحد وفي وقتين مختلفين . او ان الطيفين التقيا هناك ومحي الزمان فلم يكن لهُ حساب في التقائهما كما يحي ونحن نقرأ حوادث العصور الغابرة فنتصورها معًا في وقت واحد . ورؤيتهُ للاستاذ برتشرد مرتين تُعلَّل بان الذي رآهُ اولاً رجل يشبههُ . ومما يؤيد ذلك ان الاستاذ لم يرَهما لانهُ لم يفاتحهُ ولا فاتح رفيقهُ في كيف رآهما مرتين

وجدنا لو اتحفنا القراء بما يقع لهم من هذا القبيل بعد ان يحققوا صحتهُ تمام التحقيق